

لا يزال مفهوم العولمة غامضاً بالنسبة للكثرين على الرغم مما كتب عنه، لكنه واضح كل الوضوح بالنسبة لتلك القوى التي تمارس من خلالها عولمة المجتمعات الأرضية (1) ومن الطبيعي أن يختلف الناس في فهمه وتحليل أبعاده، وبمدى إطلاعهم على خفايا الظاهرة ووقائعها من جهة أخرى، تحرك خيوطها في مجالات عديدة أيادي خفية يتجاوز نفوذها نفوذ الدولي والمنظمات الدولية الرسمية ) وكيف ندرك ما ستفاجئنا به العولمة غداً فلا مناص من الوقوف قليلاً عند الفهوم، كما ينظر له المبشرون به في عقر داره معتبرينه حتمية تاريخية ولكن أحدث الدراسات ثبتت أنه من صنع قوى عالمية ذات نظرية مستقبلية عرفت كيف تستغل ظروفاً دولية معينة لفرض نظرتها إلى مستقبل "عولم". ومن يتأخر عن الولوج إلى بوابته الكبرى المحكمة الحراسة من طرف سلطة كونية جديدة تملّي شروطها على جميع الأصقاع عبر قنوات المؤسسات المالية والاقتصادية الدولية يهمش، إن عدم قدرة البشر اليوم على التحكم في القرارات والمعلومات بعد أن تناسب في شبكات الاتصال الإلكترونية جعل الظاهرة تبدو فيما تفرزه يومياً من نتائج إيجابية وسلبية، فلا مناص - إذن من التعامل مع الظاهرة باعتبارها تدشن مرحلة جديدة في تاريخ البشرية، ولا يوجد أي خيار آخر أمام الشعوب بعد أن المهارت السدود، ومن يقف متربداً أمام بوابة العولمة يلفظ لفظ النواة. وأبادر هنا إلى التأكيد بأن العولمة ظاهرة إيجابية لأنها واقع فرض نفسه بكفاءة، وهي خطوة نوعية جديدة في تقدم المجتمع البشري رغم جوانبها السلبية التي تبدو في ثنياها هذا الكتاب الذي أضعه أمام القارئ العربي حتى لا تبقى الأمور معلقة في الهواء. فأنا أدرك بأن الشعوب المستضعفه تعاني الآن وسوف تعاني مستقبلاً من تبعات العولمة. ومن يستنكر فإنه يعيش على هامش الأحداث وينتهي به المطاف إلى مزبلة التاريخ. يخطئ بعض الناس حين يحصرون العولمة في مجالات الاقتصاد والإعلام، وليدة ظاهرة منطقية متقدمة تتكامل فيها الجوانب المختلفة. فإلى جانب دينامية الانصهار والتكميل والاتحاد وسقوط الجدران وأنهيار الحدود قربت المسافات والتحتمت الشعوب على اختلاف لغاتها وثقافاتها وساعدت وسائل الاتصال الحديثة على التعريف بحضارة أسم كانت مجهولة، فأسمهم كل ذلك في القضاء على أيديولوجية التفوق الفاشي الشوفيني لعنصر على آخر، وهي الأيديولوجية التي بررت بها الرأسمالية الكلاسيكية في مرحلتها الإمبريالية سياسة استعمار الشعوب تحت شعار "رسالة التمدن". ومع تصاعد قوى اليمين المتطرف في المجتمعات الغربية ومع انتشار العنف والإرهاب الدولي وعصابات للمafia العابرة للحدود والقارات، التي تحتل بمفردها المرتبة السابعة في قائمة القوى الاقتصادية العالمية - بلغ الإنفاق أعد صاء على السجون ما يساوي المجموع الكلـ لميزانية التعليم، وهناك ٢٨ مليون الله حركة ليبرالية وأيديولوجية توسيعية ذكية. قد حصنوا أنفسهم في أبرية وأحياء سكنية محروسة. حيث يصبون جام حقدتهم الأسود على المسلمين والعرب الذين يعملون في البلدان الأوروبية. أي أنهم قد ولدوا فوق الأرض الأوروبية، وتذكـ بشعوب أهل الجنوب الذين لا يمكن أن ينصلـوا بالـة في مجتمعـات أهل الشمال حسب أيديولوجية "التفوق العـرقي" التي تبنيـاـها قوى اليمـين المتـطرف واضـعة أفـكارـ ادولـف هـتلـر وبنـيـتو موسـولـينـي فوقـ أيـ اعتـبارـ. وما إجرـاءـاتـ إـغـلاقـ حدـودـ دـوـلـ الـاتـحادـ الـأـورـوـبـيـ فيـ وجـهـ القـادـمـينـ منـ الجنـوبـ إـلـاـ)ـ مـظـهـرـ منـ مـظـاهـرـ التـعبـيرـ عنـ هـذاـ الشـعـورـ.ـ لـتـغـذـيـ الصـورـةـ السـلـبـيةـ عنـ العـربـ وـالـمـسـلـمـينـ،ـ وـماـ يـلـفـ النـظـرـ فـيـ ظـاهـرـةـ العـولـمـةـ تـزـامـنـ التـنـظـيرـ لـلـسـوقـ الـكـوـنـيـ الـمـوـحـدـ،ـ وـلـعـصـرـ الصـورـةـ الـخـارـقةـ الجـدرـانـ وـالـعـابـرـةـ الـحـدـودـ معـ التـنـظـيرـ لـضـرـورةـ اـسـتـعـادـ الـغـرـبـ لـنـوـعـ جـديـدـ مـنـ الـصـرـاعـ ضـدـ الـإـسـلـامـ وـأـهـلـهـ خـاصـةـ وـأـنـ الـعـوـ السـابـقـ المعـسـكـرـ الشـيـوعـيـ"ـ النـهـارـ تـامـاـ فيـ عـامـ ١٩٩٠ـ بـعـدـ عـلـمـيـةـ "ـالـغـلـاسـنـوـسـتـ"ـ الـتـيـ قـامـ بـهاـ غـورـباتـشـوفـ فـيـ روـسـيـاـ.ـ وـضـغـطـ بـاتـجـاهـ عـقـدـ اـتـقـاـقـيـاتـ "ـسـلـامـ"ـ اـنـتـهـتـ بـشـعـارـ "ـلـاـ"ـ غالـبـ وـلـاـ مـغـلـوبـ"ـ وـخـرـجـ الـمـسـلـمـونـ مـنـ هـذـهـ الـمـلـاحـمـ بـلـاـ نـتـيـجـةـ.ـ وـفيـ وضعـ اـقـتصـاديـ مـتـازـمـ قدـ يـفـجـرـ هـزـاتـ اـجـتمـاعـيـةـ مـفـاجـئـةـ وـتـلـمـحـهـ بـالـخـصـوصـ فـيـمـاـ يـسـمـيـ "ـظـاهـرـ الـإـسـلـامـ السـيـاسـيـ الـمـتـطرـفـ".ـ وـبـخـاصـةـ الـتـعاـونـ مـعـ الـحـلـفـ الـأـطـلـسـيـ،ـ فـقـدـ تـعـدـتـ أـوـجـهـ الـعـدـ،ـ (1)ـ ١١ـ إـذـنـ لـاـ يـمـكـنـ القـوـلـ أـنـ الـعـولـمـةـ تـعـنـيـ تـعـلـقـ عـالـمـ بـلـاـ حـربـ،ـ فالـواـضـحـ أـنـ أيـ تـهـيدـ لـمـصـالـحـ الـلـوـلـاـتـ الـمـتـحـدـةـ تـجـبـ عـلـيـهـ الـحـكـوـمـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ بـإـطـلاقـ الصـوـارـيـخـ وـإـطـلاقـ كـلـابـ الـحـرـبـ مـنـ عـقـالـهـ.ـ فـمـنـ يـحاـوـلـ حـمـاـيـةـ ثـرـوـتـهـ الـقـومـيـةـ يـعـاقـبـ بـقـسوـةـ حـتـىـ يـرـتـدـ رـئـيـسـ صـحـيـحاـ إـذـنـ أـنـ الـعـولـمـةـ فـيـ ١ـ حـقـيقـتـهـ تـقـومـ عـلـىـ كـوـنـ الـرـأـسـمـالـ لـاـ وـطـنـ لـهـ.ـ وـلـكـنـهـ فـيـ جـمـيعـ الـأـحـوالـ مـحـدـودـ بـحـدـودـ الـمـصـالـحـ الـقـومـيـةـ حـتـىـ لـوـ كـانـ الـأـمـرـ يـتـعـلـقـ بـ"ـالـشـرـكـاتـ مـتـعـدـدـ الـجـنـسـيـةـ".ـ تـعـدـتـ جـنـسـيـةـ الـشـرـكـاتـ أـمـ لـمـ تـعـدـ.ـ وـقـدـ لـاـ تـكـوـنـ الـمـصـالـحـ الـقـومـيـةـ الـيـوـمـ "ـقـومـيـةـ"ـ بـالـمـعـنـىـ الـقـدـمـ (ـالـكـلـاسـيـكـيـ)ـ لـلـكلـمـةـ،ـ أـمـاـ فـيـ الـلـوـلـاـتـ الـمـتـحـدـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ فـالـبـحـثـ عـنـ الـهـوـيـةـ وـالـعـمـلـ عـلـىـ إـحـصـائـهـ مـسـتـمـرـ،ـ وـالـنـتـيـجـةـ الـمـالـيـةـ الـتـيـ تـفـرـضـ نـفـسـهـاـ هـنـاـ هـيـ التـالـيـةـ:ـ إـنـ التـعـارـضـ بـيـنـ الـعـولـمـةـ وـسـالـةـ اـعـمـرـةـ بـعـيـشـهـاـ الـغـرـبـ نـفـسـهـ،ـ مـوـطـنـ الـعـولـمـةـ وـمـصـدـرـهـ،ـ وـبـالـتـالـيـ فـمـنـ الـحـالـاتـ الـجـسـيمـ الـنـظـرـ إـلـىـ هـذـاـ التـعـارـضـ عـلـىـ أـنـ فـقـطـ تـعـارـضـ بـيـنـ الـغـرـبـ /ـ الـشـمـالـ"ـ يـوـصـلـهـ مـصـدـرـ الـعـولـمـةـ لـلـمـسـتـفـيدـ مـنـهـ،ـ وـتـثـارـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ الـتـجـلـيـاتـ الـاقـتصـاديـةـ الـعـولـمـةـ"ـ مشـكـلةـ.ـ وـهـنـاكـ تـجـلـيـاتـ سـيـاسـيـةـ لـلـعـولـمـةـ مـنـ أـبـرـزـهـاـ السـقـوطـ الـشـمـولـيـةـ وـالـسـلـطـوـيـةـ وـالـنـزـوـعـ إـلـىـ الـدـيمـوـقـراـطـيـةـ

والتعديدية . السياسية، وهذا قد يتطلب التعرض للخصوصيات الثقافية بما يهدد هويات المجتمعات المعاصرة. إذ أن لها امتداد في تاريخ الرأسمالية منذ نشوئها وتطورها والتحولات التي شهدها في القرن التاسع عشر وبخاصة في النصف وأوائل القرن العشرين.